

عالم رواية

سماء في الاتجاه الخاطىء

تصميم : ماید الكعبي

مقدمة

يجد مايد الكعبي في الرواية والشعر والتصميم والتلحين طرائق متجاورة للتعبير. بصفته روائيًا وأديبًا وشاعرًا ومصممًا وملحنًا، تتسع تجربته للكلمة والصورة والنغمة، من غير أن يلغي أحدها الآخر؛ فلكل فن طريقته في الاقتراب من الإنسان، وفي منح الفكرة شكلًا يمكن مشاركته.

يأتي هذا الكتيب بوصفه نافذة فنية على «سماء في الاتجاه الخاطئ»: عالم تبدأ ملامحه من الصحراء والجبال وحياة البادية، ثم تنفتح فيه أسئلة الأسرة والصداقة والاختيار على مملكة الجن. لا يسعى إلى أن يحل محل الرواية، بل إلى أن يقرب وجوهها وتفاصيلها، ويتيح للقارئ أن يتوقف عند ما تمر به الحكاية من أثر صغير أو علاقة أو غرض.

بين النص والرسم، تبقى الغاية أن يجد هذا العالم طريقه إلى خيال القارئ، وأن تظل له مساحة يكتشف فيها حكايته بنفسه.

Mayedone

حقوق الرسم والنص

© 2026 مايد الكعبي. جميع الحقوق محفوظة، في حدود الحماية المقررة قانوناً. لا يجوز نسخ أو نشر أو توزيع أو تعديل أو اقتطاع نصوص هذا الكتيّب ورسوم شخصياته وتفاصيله السردية المحمية، كلياً أو جزئياً، أو إعادة استخدامها دون إذن كتابي مسبق من صاحب الحق، مع مراعاة حقوق أصحاب المواد الأصلية والاستثناءات والاستخدامات التي يجيزها القانون.

الرواية بين يدي القارئ

سماء في الاتجاه الخاطئ مايد الكعبي

تبدأ القراءة من عنوان يضع الاتجاه موضع سؤال. ما يبدو ثابتًا في النظر قد لا يظل كذلك حين تتغير المعرفة، وما يبدو طريقًا إلى شخص آخر قد يكشف شيئًا عن صاحبه. يرافق هذا السؤال باسل في انتقاله من عالم يعرفه إلى عالم يحتاج أن يتعلم كيف يصغي إليه.

يحفظ الغلاف مدخل الرواية وهويتها، بينما تفتح الصفحات التالية مساحة للتأمل في التفاصيل: الوجوه والأغراض والبيئة والعلاقات. ليست الرسوم بديلًا عن الكلمات، ولا الكلمات شرحًا لكل ما في الصورة؛ يتجاور الاثنان كي يقترب القارئ من العالم دون أن تُغلق أمامه حرية تخيله.



غلاف الرواية الأصلي





من أرض الحكاية



على ضوء القمر

بين الرمل والصخر، يأخذ الطريق اتساعًا آخر حين يخفت ضوء النهار. تبدو الخطوة صغيرة أمام الجبل، لكن صاحبها يحمل ما لا يظهر من بعيد: سؤالًا، وذاكرة، وصلة بمن تركهم وراءه. في هذا السكون تصبح المسافة أكثر من امتداد للأرض؛ تصير وقتًا يقضيه المسافر مع ما يعرفه وما لم يفهمه بعد.



على عتبة الطريق

لا يبدأ اتساع العالم عند أول عجيبة، بل عند الخطوة التي يختار صاحبها أن يعرف.

وادي السهو، الحياة قبل الرحلة



على حافة وادي السهو تقوم مضارب بني هلال، ويبدأ عالم باسل من تفاصيل يعرفها قبل أن يطرح عليها الأسئلة. عند المورد تتقاطع خطوات الناس، وتتنقل الجرار، وتظهر أعمال العناية والرعاية في مشاهد لا تحتاج إلى حدث استثنائي كي تستحق النظر. هنا تضمد ليلى جرح طفل، وينتظر جبل صديقه، ويعود باسل يقود ناقة. الماء والخيام والسدر وأصوات الحديث تمنح المكان إيقاعه اليومي، وتربط أسماء الشخصيات بحياة مشتركة، لا بسير منفصلة.

يكتسب الوادي أهميته من هذه الألفة. ففيه تعلم باسل العمل وعرف الصداقة، وفيه رباه ليث، وبين أهله تشكلت صورته الأولى عن الأسرة وعن نفسه. لذلك لا يصبح المكان مجرد نقطة مغادرة حين تبدأ الرحلة؛ تبقى العلاقات التي نشأت فيه حاضرة في معنى الاختيار، وفي الفرق بين أن يسير الإنسان وحده وأن يحمل معرفة من يتركهم خلفه.



ضيق الممر

وقبل الرحيل، لا تتوقف الحياة لتفسح المجال للمغامرة. يضحك الأطفال، وينشغل الكبار بالماء والماشية وما تحمله القوافل، وتبقى العناية بالجرح وإصلاح الحبل أعمالًا ضرورية. تلك اللحظات العادية تمنح الوادي قربه؛ فلا يعرف باسل أهله من صفاتهم وحدها، بل من أصواتهم وطرائقهم في الحديث والعمل. ولهذا يحمل المكان معه حين يبتعد: ليس صورة للرمل والخيام فحسب، بل معرفة بالناس الذين جعلوا لهذه الأرض معنى في حياته.



المورد

الماء، حاجة مشتركة.



السدر

ظل قريب من يوم الناس.



المضارب

مأوى الحياة المتنقلة.



أوعية النهار



الحبل والوتد

درس في ثمن المعرفة

لا يبدأ تعلم باسل من وعد بقوة لا حدود لها، بل من اكتشاف أن الفعل قد يترك أثرًا في غير صاحبه. علم الميل لا يخلق نجاة مجانية؛ إنه يغير اتجاه ما يحدث، ويجعل السؤال عن الكلفة ملازمًا للسؤال عن القدرة. في هذا العالم لا تكفي الرغبة الطيبة وحدها، ولا يستطيع المرء أن يعد نفسه بريئًا لأنه لم ير من دفع الثمن.

في الوادي، يقترب التعلم من الأشياء المألوفة: دائرة تُرسم، وملح، وحرمل، وخيط، وذاكرة قد تتعرض للنقص. تساعد ليلى في الاستعداد، ويصبح توزيع الشهادة سبيلًا إلى ألا يحمل شخص واحد ما لم يختر حمله. هنا لا يكون الأصدقاء جمهورًا يتفرج على بطل يتقن العجيبة، بل أشخاصًا لهم حق المعرفة والقبول، ولوجودهم أثر في كيفية استعمال ما يتعلمه.

تكشف هذه الوقفة معنى مختلفًا للمهارة. ليست المهارة أن تستطيع دائمًا، بل أن تعرف متى تتوقف، وأن تسأل قبل أن تنقل الألم أو الخسارة إلى سواك. يصبح الانتباه إلى حدود الآخرين جزءًا من فهم العالم، مثل الانتباه إلى الماء والطريق والريح. وتغدو الأدوات الصغيرة علامات على مسؤولية كبيرة، لا زينة غامضة تحيط بالفعل السحري.

تظهر في المعرفة التي يقترب منها ست صلات: الدم، والنفس، والذاكرة، والظل، والرغبة، والشاهد. لا تُعرض بوصفها أسماء براقة لزينة الحكاية، بل مداخل إلى فهم ما يجعل الكائن مرتبطًا بنفسه وبسواه. فالرغبة قد تقوده، والذاكرة تصل يومه بما عاش، والشهادة تمنح ما حدث حضورًا عند غيره. ومن هذا الترابط تأتي صعوبة الفعل؛ تغيير جهة واحدة ليس دائمًا أمرًا معزولًا عما حولها. حتى الاسم يتجاوز حروفه إلى الروابط التي تمنحه معنى. لذلك ينتمي الدرس إلى الحياة اليومية بقدر انتمائه إلى العجيب: أن تعرف من يشاركك، وأن تميز رضاه من صمته، وألا تجعل حاجتك أنت مبررًا لتجاهل حاجته. هذه المسافة الأخلاقية هي ما يحفظ للتعاون معناه حين تصبح القدرة على التأثير أكبر.

لهذا يظل درس الوادي حاضرًا وراء الرحلة. ما يتعلمه باسل ليس طريقة لعبور حاجز فحسب، بل طريقة للنظر إلى كل باب يفتح أمامه: من أغلقه؟ ومن يملك حق فتحه؟ ومن سيتغير شيء في حياته إذا عبر؟ بين هذه الأسئلة تنشأ المسافة التي تفصل المعرفة عن التسلط، والتعاون عن استعمال الناس وسيلة لغاية لا يعرفونها.



اتساع الصحراء

للصحراء اتساعها، وللطريق ما لا يُرى من أول نظرة.

الرمل والصخر والقافلة



يتغير الطريق حين تتغير مادته. للكثيب صعوبة، وللصخر حدود وممرات، ولشق الجبل إحساس مختلف عن امتداد السهل. لا يتعامل باسل مع أرض متشابهة، بل مع انتقالات تحتاج كل منها إلى انتباه. وقد يصبح السؤال عن كيفية المشي أهم من السؤال عن سرعة الوصول.

وتصل القوافل المضارب بما وراءها. تحمل الإبل البن والملح والأثواب، ومعها حركة البيع والحديث والخبر. تظهر في هذه التفاصيل صلة البادية بعالم أوسع، دون أن تفقد حياتها إيقاعها الخاص. فالطريق ليس للعابر المنفرد وحده؛ إنه أيضًا طريق رزق وعلاقة وتبادل، يمر به الناس بأغراض مختلفة، ولا يتركون فيه الأثر نفسه.



أفق الطريق



النبات



الحمل

باسل بن نافع

بطل الرواية، شاب في السادسة والعشرين، يعرف حياة الرعاة والعمل اليومي قبل أن يعرف اتساع الأسرار التي تحيط به. طويل لوحت الشمس وجهه، وفي عينه اليسرى خيط عسلي يظهر حين يشتد الضوء. لكن ما يقربه إلى القارئ لا يقف عند مظهره: له رغبات يتردد أمامها، وعلاقات لا يملك أن يقرر عنها، وأسئلة لا تمنحه الإجابة دائمًا راحة.

لم يكن ينتظر مغامرة؛ كان يفكر في حياة مستقلة قريبة من عالمه المألوف. لذلك لا تبدأ الرحلة بوصفها تحقيقًا لحلم البطولة، بل خروجًا من معرفة اعتادها إلى معرفة لم يختر شروطها كلها. وبين الجرأة والتردد، يكتشف أن قوة الرغبة ليست وحدها دليلًا على صواب الطريق.





جلوس وإنصات

باسل بالعمامة

ملامح يقظة، ونظرة تستبق الطريق.



اللفائف



الوشاح

باسل، الهيئة والعمل



إصلاح الحبل



الإنصات

قبل أن تقوده الرحلة إلى المجهول، يعرف باسل حياة لها إيقاع واضح: يخرج مع الرعاة، ويصلح الحبال، ويفاوض القوافل، ثم يعود إلى الوجوه المألوفة في الوادي. كانت له رغبات قريبة، وحياة يتصور أنه يستطيع بناءها بما يعرفه من عمل وعلاقات. من هنا تنشأ أهمية تفاصيله اليومية، فهي جزء مما يحمله معه حين يغادر.

لا تختزل شخصيته في الجرأة وحدها. فهو يعرف التردد حين يصبح الاختيار متعلقًا بمن يحب، ويجد في حديث أصدقائه ما يزعجه لأنه يصيب موضعًا حقيقيًا. يحمل قربه من ليث خبرة التربية وأسئلتها، وتحمل صداقته بجبل وليلى دفء الحياة وصراحتها. كل خطوة جديدة تقابلها حياة عرفها، وأشخاص لا يستطيع أن يجعلهم مجرد خلفية لرغبته.



الخطوة



الزي من الخلف

باسل، وجوه الموقف



يقظة



إصغاء



دفء



تردد



غضب مضبوط

تظهر شخصية باسل في الحوار بقدر ما تظهر في الحركة. يعرف المزاح مع جبل، ويتردد حين تطلب منه ليلى وضوحًا، ويواجه ليث بأسئلة لا تكفيها الإجابات القديمة. تمنح هذه المواقف وجهه مجالًا أوسع من الصرامة أو الدهشة وحدهما؛ ففيه فضول وغضب وقرب من الآخرين، وقد تتجاور الرغبة في الفهم مع صعوبة اتخاذ القرار.

حين يقترب السؤال من أسرته، يصبح صبره أقل اتساعًا. لا تمنحه الصداقة موافقة تلقائية، ولا تبقى علاقة الجد والحفيد خالية من الاختلاف. يعرف المقربون منه تفاصيل لا يراها الغريب، ويستطيعون أن يردوه إلى حياته العادية حين تثقل عليه صورة البطل. لهذا تتعدد تعابيره من غير أن يفقد ملامحه: الشخص واحد، لكن المواقف لا يكفيها رد واحد.

من الخط إلى الحضور



المحور الكتل الملامح الحبر

يبدأ رسم الوجه بمحور يحدد اتجاهه، ثم بكتل تمنح الرأس حجمه قبل أن تظهر تفاصيل العين والأنف والفم. ومع انتقال الخط من التقريب إلى التحديد، يصبح التوازن بين الأجزاء أهم من كثرة العلامات. فقد تغير حركة صغيرة في الحاجب معنى النظرة، وقد يحمل ميل الرأس ما لا تحتاج الصورة إلى شرحه بالكلام.

تبدأ دراسة باسل بخط يحدد الاتجاه، ثم تتضح كتلة الرأس وعلاقة الملامح بعضها ببعض. ويتيح وجود الخط الأول بجوار الرسم المكتمل رؤية ما يضيفه الظل والملمس، وما يبقى ثابتًا حين تتغير زاوية الوجه أو وسيلة الرسم. يتقدم التعبير مع كل مرحلة؛ نظرة أكثر وضوحًا، وانحناءة أدق، ومساحة من الضوء تمنح الوجه حضوره.



اتجاه القماش لفائف الساعد اليد والحبل

باسل، اتزان الجسد وحركة الثوب

يبدأ رسم الجسد بمحور يوضح اتجاه الحركة، ثم بخط الكتفين وخط الحوض. لا يتساوى الخطان في كل وقفة؛ ميلهما يبين موضع الاتزان وكيف ينتقل ثقل الجسم إلى القدم التي تحمله. وقبل تفاصيل الثياب، توضع كتل الصدر والحوض والأطراف بخط خفيف يحفظ النسب ويترك مجالًا للتصحيح.

تختلف صورة باسل واقفًا عنها جالسًا. في الوقوف تقود الساق الحاملة للوزن وضعية الجذع، وفي الجلوس تتغير زوايا الركبتين وميل الظهر وموضع اليدين. بعد ذلك تتبع الثنيات ما تحتها: تتجمع حيث ينثني المفصل، وتمتد أو ترتخي بحسب اتجاه القماش. هكذا تمنح الملابس الحركة وضوحًا، من غير أن تخفي بناء الجسد أو تبدل ملامح الشخصية.



محور الحركة

خط خفيف يسبق تفاصيل الجسد ويحدد اتجاه الوقفة.

الكتف والحوض

اختلاف الميل بين الكتلتين يوضح الاتزان.

الساق الحاملة

يمر ثقل الجذع نحو القدم التي تثبت على الأرض.

الجلوس والثنيات

تنثني الخطوط مع الركبة ويتجمع القماش عند المفصل.



كينا، بين اللقب والاختيار

ابنة مالك، وشخصية لا يختصرها لقبها.

كينا بنت مالك، بين هيئتين



تعرف كينا من عالم الجن وطرق العبور ما لا يعرفه باسل. غير أن معرفتها لا تجعلها خارج الأسئلة؛ فهي ابنة مالك، ولها علاقة بالمكانة وبالخوف وبالقرارات التي اتخذتها. يظهر في حديثها حذر وذكاء، وقدرة على مساءلة الاندفاع، لكنها لا تقف دائمًا في موضع من يملك الإجابة الأخيرة.

ترافق باسل في طريق يحتاج إلى أكثر من دليل. فالمعرفة التي تقدمها تقابلها رغباته واعتراضاته، وتصبح الرفقة مجالًا للتعلم المتبادل. ليس كل ما يريده ممكنًا كما يتصوره، وليس كل ما تعرفه كافيًا ليختار عنها.

من هذا التوتر ينشأ حضورها: شخصية تقود وتراجع، وتفهم بعض الطرق فيما لا يزال عليها أن تحسم موقفها من طرق أخرى.

لكينا بنت مالك هيئة أخرى: أفعى سوداء، رفيعة وطويلة. تمر في الضوء دون أن يرافقها ظل، فيصبح حضورها الصغير علامة على ما يتجاوز المألوف. وتصل غرابتها الهادئة عالم البادية بما يخفيه عالم الجن.



التفات وقلق　　تأمل جانبي　　دهشة



هيئة الأفعى

الأميرة التي تحمل العبء

تتغير صورة المملكة حين يقترب النظر من العمل اليومي. بعيدًا عن الألقاب، يوجد من يقضي وقته قرب الأفران، ومن يدفع من عمره وذاكرته ثمنًا لا يظهر في جمال ما ينتجه. لا تقدم الرواية الطبقة الكادحة بوصفها خلفية حزينة تمر بها الشخصيات؛ تمنحها أسرًا وأسماءً ومطالب، وتجعل ما يقع عليها جزءًا من حقيقة السلطة التي تحكم الجميع.

في إحدى هذه الوقفات تحمل كينا المنصة بنفسها لتخفف العبء عن طفل. ليس الفعل استعراضًا لقدرة أميرة، بل انتقالًا من معرفة الألم من بعيد إلى ملامسة ما يفرضه على الجسد. وخلال ذلك تنكشف هويتها. يصبح لقبها، الذي قد يفتح لها الطريق في موضع آخر، حاضرًا داخل سؤال أصعب: ما قيمة القرب من السلطة إذا لم يغير الطريقة التي ترى بها من يحملون أثقالها؟

لا يحل هذا التدخل مشكلة المملكة، ولا يمنح كينا حق الكلام بدل العاملين فيها. أهميته في أنه يكسر المسافة التي تتيح النظر إلى العمل من خلال نتيجته وحدها. خلف الزجاج والخبز والأشياء المتداولة توجد أيدٍ تتعب، وأسر تحاول البقاء، وحقوق لا يصح أن تختفي لأن أصحابها لا يقفون في مقدمة المشهد.

ويمنح الاقتراب من أسر العاملين هذه الفكرة أسماء لا تختفي وراء وصف عام. مرجانة أم لها ابنان، نائل ورئبال، وللأسرة تقديرها لما تستطيع احتماله وما تخشى خسارته. يعمل رئبال في أفران الزجاج، وتتصل أحوال العمل بما يمكن أن يُنتزع من الذاكرة. ليست المادة المصقولة وحدها نتيجة الفرن؛ هناك أيضًا حياة من يقف عنده. وحين تظهر في الحكاية أشياء بسيطة كالخبز، تعود الحاجة اليومية إلى الواجهة وتمنع الكلام عن المملكة من الانحصار في صراع أصحاب الألقاب. من هذه المسافة القريبة يمكن فهم وزن فعل كينا: حمل العبء لا يغني عن الإصغاء لأصحابه، والعون لا يكتمل إذا أبقى من يتلقاه خارج حقه في الكلام والاختيار.

هكذا يتسع دور كينا عن مرافقة باسل. إنها ابنة عالم عليها أن تنظر إليه من غير حماية اللقب، وأن تواجه الفرق بين الانتماء إلى المملكة والرضا عما يحدث فيها. وفي وقفة تحمل فيها عبئًا عن طفل، تلمح الحكاية إلى نوع من القوة لا يقوم على أن يأمر المرء الآخرين بالحمل، بل على أن يدرك ما يطلبه منهم، وأن يبدأ بتغيير موضعه هو.

كينا، إيقاع الملامح

يمنح ميل الرأس الرسم اتجاهه الأول، ثم يتضح التوازن بين العينين والحاجبين وخط الأنف. لا تُرسم خصل الشعر شعرةً شعرة منذ البداية؛ تُرى أولًا ككتل تتبع الجاذبية وحركة الجسد، ثم تُضاف الخصل التي توضح الإيقاع.

تأتي التفاصيل في خدمة التعبير: ارتفاع بسيط للحاجب، وهدوء في الفم، ومسافة بين النظرة وما تواجهه. ومع تدرج الرصاص تحتفظ ملامح كينا بحضورها، وتترك أطراف الشعر والثوب مجالًا للخط الخفيف والمساحة المفتوحة.



محور الوجه كتل الشعر النظرة درجات الرصاص

مالك، الملك والأب

مالك ملك مملكة الجن ووالد كينا. يجمع حضوره بين صفة الحاكم وعلاقة الأب، وهما موقعان لا يحلان الأسئلة بالطريقة نفسها. من خلاله تقترب الرواية من معنى المسؤولية حين تتصل بحياة الآخرين: ما الذي يبرر القرار، وكيف تتحول الحماية إلى فرض، وما الذي يبقى على صاحب السلطة أن يسمعه ممن يتأثرون بها؟

تمنحه المكانة قدرة على الفعل، لكنها لا تجعل أثر الفعل بسيطًا. وما يبدو حماية من جهة قد يبدو قيدًا من جهة أخرى. لهذا لا يكفي فهم مالك من علامات الحكم المحيطة به؛ فالعلاقة بابنته وما يحمله من خوف ومسؤولية جزء من الشخصية أيضًا. إنه حضور يفتح السؤال عن السلطة داخل الأسرة وفي المجتمع، دون أن يمنح القارئ جوابًا مختصرًا منذ البداية.





تأمل



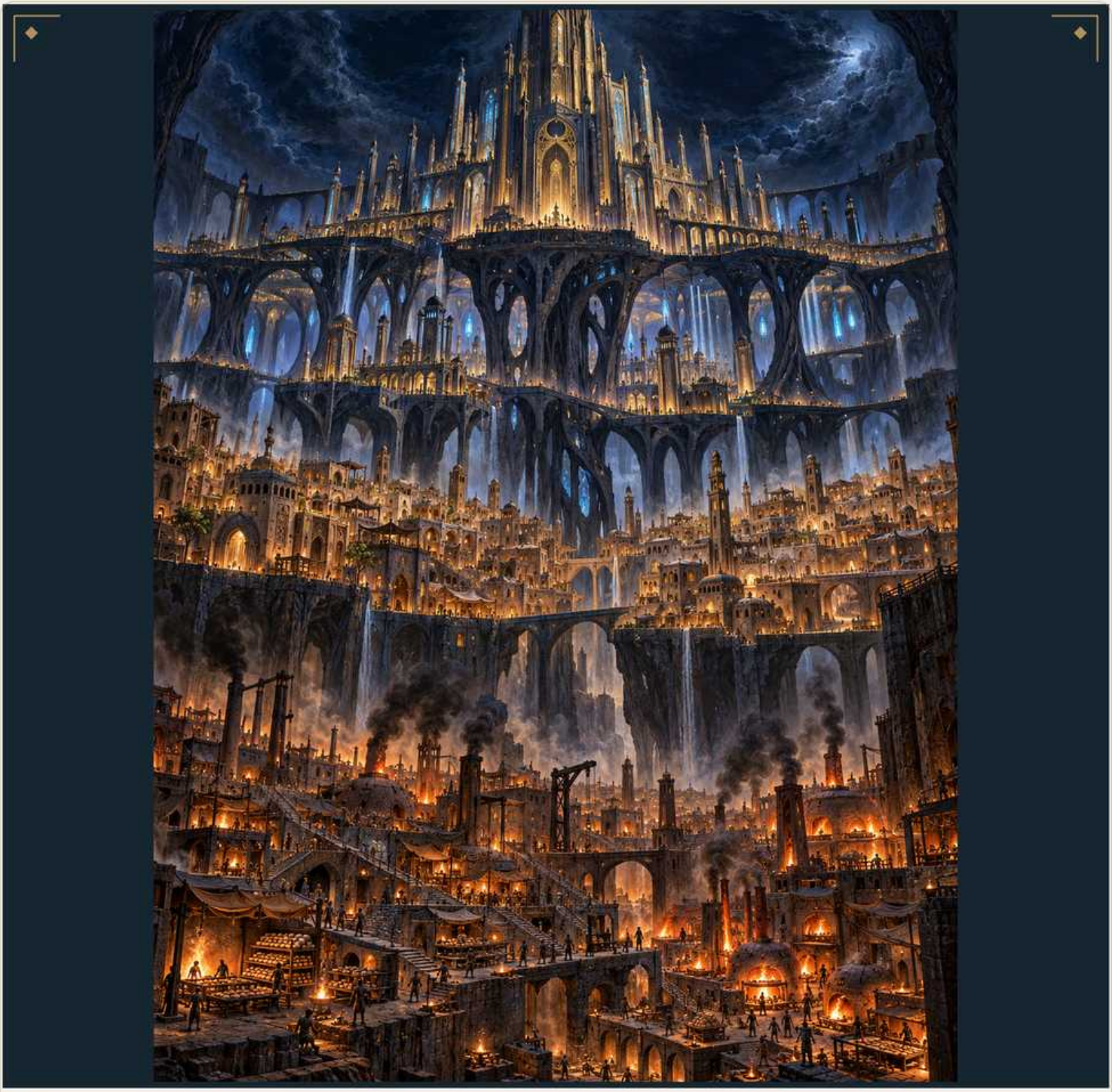
حزم جانبي



الهيئة من الخلف

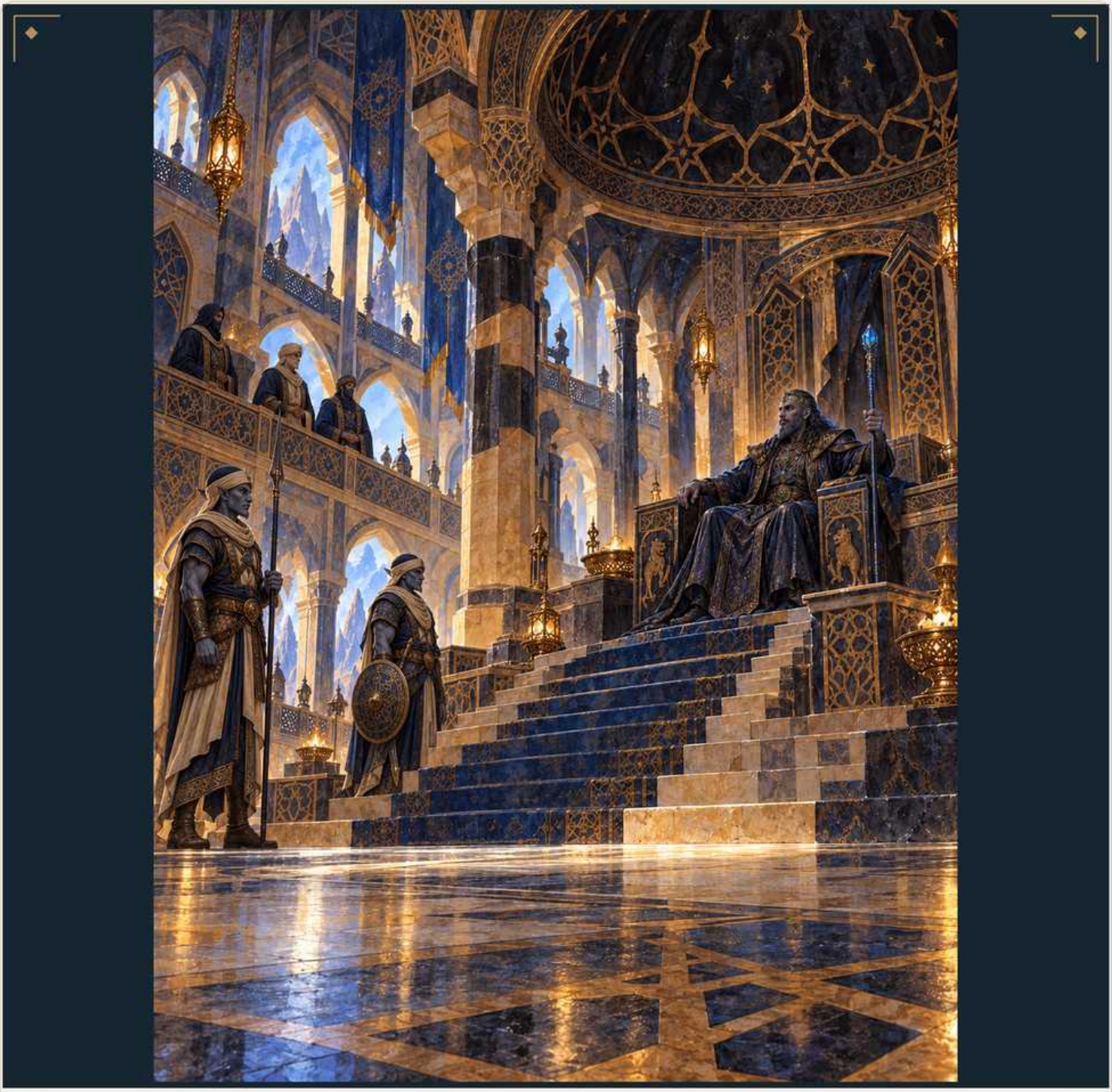


اليد ورأس العصا



السماء السفلى، أرض لا تستقر جهتها

تعلو المملكةَ كتلةُ القصر الشاهق، وتحتها تتدرج المدن كأن كل مستوى يحمل وجهًا آخر من الحياة. مدينة ذات أعمدة غريبة، وأخرى أدنى منها، ثم مدينة العمال في الأسفل، حيث المحارق والمخابز ومواضع العمل والطرقات. من بعيد يجتمع المشهد في هيبة واحدة؛ ومن قرب تتباين الأثقال التي تحملها طبقاته.



قصر الجذر، حيث تصير الكلمة أمرًا

في قاعة مالك يتجاور العرش والحرس والحاشية. تتسع القبة السوداء فوق المكان، وتنهض الأعمدة بين الضوء والظل. هنا تمر الكلمة عبر مراتب السلطة قبل أن تبلغ من يحملون نتائجها؛ فلا تختصر عظمة القصر السؤال عما يجري في ظلّه.

ليلى، القرب الذي يصارح

تعلمت ليلى معرفة الأعشاب وتضميد الجروح من أمها، وصارت مقصدًا لأهل المضارب. يرتبط حضورها بفعل ملموس: عناية تحتاج إلى ملاحظة ويد تعرف ما تفعل. لكن معرفتها بالآخرين لا تقف عند الجرح؛ ففي حديثها وضوح يواجه التردد، وقرب لا يمنع المصارحة، ورأي لا يذوب في رغبات من تعرفهم.

هي صديقة باسل، ولا تعني الصداقة أن تقول له ما يريحه دائمًا. تستطيع أن ترى تردده حين يحاول الالتفاف عليه، وأن تحافظ على قرارها من غير أن تلغي قربها منه. تمنح هذه العلاقة الحكاية مساحة إنسانية لا تُقاس بالمغامرة وحدها؛ فبعض أصعب الأسئلة يقال عند الماء، بين أشخاص يعرفون بعضهم، قبل أن يصل المسافر إلى أي عالم غريب.





دفء



تساؤل



جلوس وإنصات



غطاء الرأس

ليلى، اليد والنظرة

تظهر العناية في تفاصيل صغيرة: يد تنشغل بجرح، ونظر يلاحظ ما يحتاجه الآخر، وكلمة لا تتعجل الطمأنة. لا تجعل هذه الأفعال ليلى صورة هادئة بلا رأي؛ فالمهارة تحتاج إلى انتباه، والقرب قد يحتاج إلى اعتراض. وبين الفعل والحديث يتشكل حضور لا يكتفي بأن يكون شاهدًا على ما يفعله الآخرون.

تتيح دراسات الوجه واليد والجلوس الاقتراب من هذا الحضور دون اختزاله في تعبير واحد. يمكن أن تجتمع الجدية والدفء، وأن يسبق الإنصات قولًا واضحًا. تحفظ الرسوم غطاء الرأس والملابس والحُلي الموجودة في أصلها، بينما تتغير الحركة والزاوية. فالمقصود أن نرى الشخصية في أكثر من موقف، لا أن نغير هويتها كلما تغير الأسلوب بين الرصاص والتلوين.



وقوف والتفات



دفء



تساؤل



جلوس وإنصات



غطاء الرأس

الاسم الذي لا يبقى في الزجاج

في عالم الجن، لا تكون القارورة وعاءً لشيء يمكن شراؤه ونسيانه دائمًا. قد يتصل ما تحمله باسم إنسان أو جني، وبما يربطه بأهله وحياته. حين يتدخل باسل لإنقاذ قارورة اسم صبي من الحرس، يتجاوز تدخله حركة نجدة سريعة؛ يدخل منطقة تصبح فيها السيطرة على الاسم وسيلة للسيطرة على صاحبه، ويجد أن البقاء بعيدًا عن الخطر ليس قرارًا محايدًا في كل مرة.

من هنا يتقدم نائل إلى الحكاية بوصفه صاحب معرفة وحاجة وقرار. يعرف طرقًا لا يعرفها باسل، ويحمل صلته بأسرته إلى كل خطوة. لا يريد أن يذوب في مهمة الغريب، ولا أن يمنح ثقته بلا حدود؛ فطلب المساعدة عنده مرتبط بمحاولة استعادة أسماء أسرته. تتشكل العلاقة على وعد محدود يمكن فهمه، لا على دين مفتوح يجعل المنقَذ تابعًا لمن أنقذه.

تغيّر هذه المصادفة اتساع الرحلة. لم يعد الوصول إلى الأم منفصلًا تمامًا عن حياة من يلتقيهم باسل، ولا صار كل من يعينه مجرد دليل إلى هدفه. للآخرين خساراتهم التي سبقت وصوله، ومعرفتهم بالعالم الذي يعبره، وحدودهم التي لا يحق له محوها بحجة أنه يحمل غاية نبيلة.

وتأخذ الأسرة هذا المعنى من الفكرة إلى الحياة. مرجانة أم نائل، ورئبال أخوه العامل في أفران الزجاج؛ ليسوا أسماء إضافية لتوسيع عدد الوجوه، بل صلات تجعل مطلبه مفهومًا. حين يتكلم عن أسرته، لا يطالب بمكافأة لمغامرة، بل بحماية ما يصل أيامهم بعضها ببعض. وتمنحهم الرواية مجالًا للاختلاف في تقدير المخاطرة، فلا يصبح حب الأخ إذنًا مفتوحًا للتصرف عنه. بهذا يتعلم باسل شيئًا لا تعطيه الطريق وحدها: ليس كل من يحتاج إلى المساعدة عاجزًا عن تحديد ما يريد، وليس دور القادم من الخارج أن يبدأ العالم من جديد. عليه أن يصغي إلى من عاشوا فيه قبله، وأن يجد موضعًا لعونه بين معرفتهم وخوفهم وحقهم في القرار.

وتحت هشاشة الزجاج تظهر هشاشة أخرى: أن يستطيع نظام كامل اختصار حياة إلى شيء يُحمل أو يُنقل أو يُحجز. أمام ذلك، تستعيد الصلة بين باسل ونائل معنى الاسم بوصفه أكثر من ملكية. إنه أثر أشخاص في بعضهم، وحق في أن تبقى العلاقة اختيارًا، لا قيدًا جديدًا يولد من لحظة النجدة نفسها.

جبل، الصداقة والإيقاع

يعرف جبل باسل منذ الطفولة، وتمنح صداقتهما الحديث لغة لا تحتاج دائمًا إلى الشرح. يظهر المزاح في كلامه، لكنه لا يلغي جدية الوفاء أو القدرة على الاعتراض. تصفه الرواية بأنه سريع الكلام والغضب والصفح؛ صفات تجعل حضوره متحركًا، لا صورة ثابتة للصديق المرح الذي لا يفعل سوى تخفيف التوتر.

خلف هذه الخفة خوف من الطريق الذي يأخذ شخصًا ولا يضمن عودته. ولهذا لا تكون رغبته في القرب مجرد عادة، ولا يكون اختلافه مع باسل علامة على ضعف الصداقة. يعرف كل منهما من الآخر ما يسمح له بالمزاح، وما يجعل المصارحة مؤلمة حين تصيب موضعها. وفي هذه المساحة بين الضحك والجد، يظهر الوفاء فعلًا يحتاج إلى اختيار، لا عبارة تقال مرة وتنتهي.





وقوف





انشغال



ألفة

اليدان والعود

سلمى، حكاية لا تختصرها الأمومة



ملامح هادئة





إصغاء



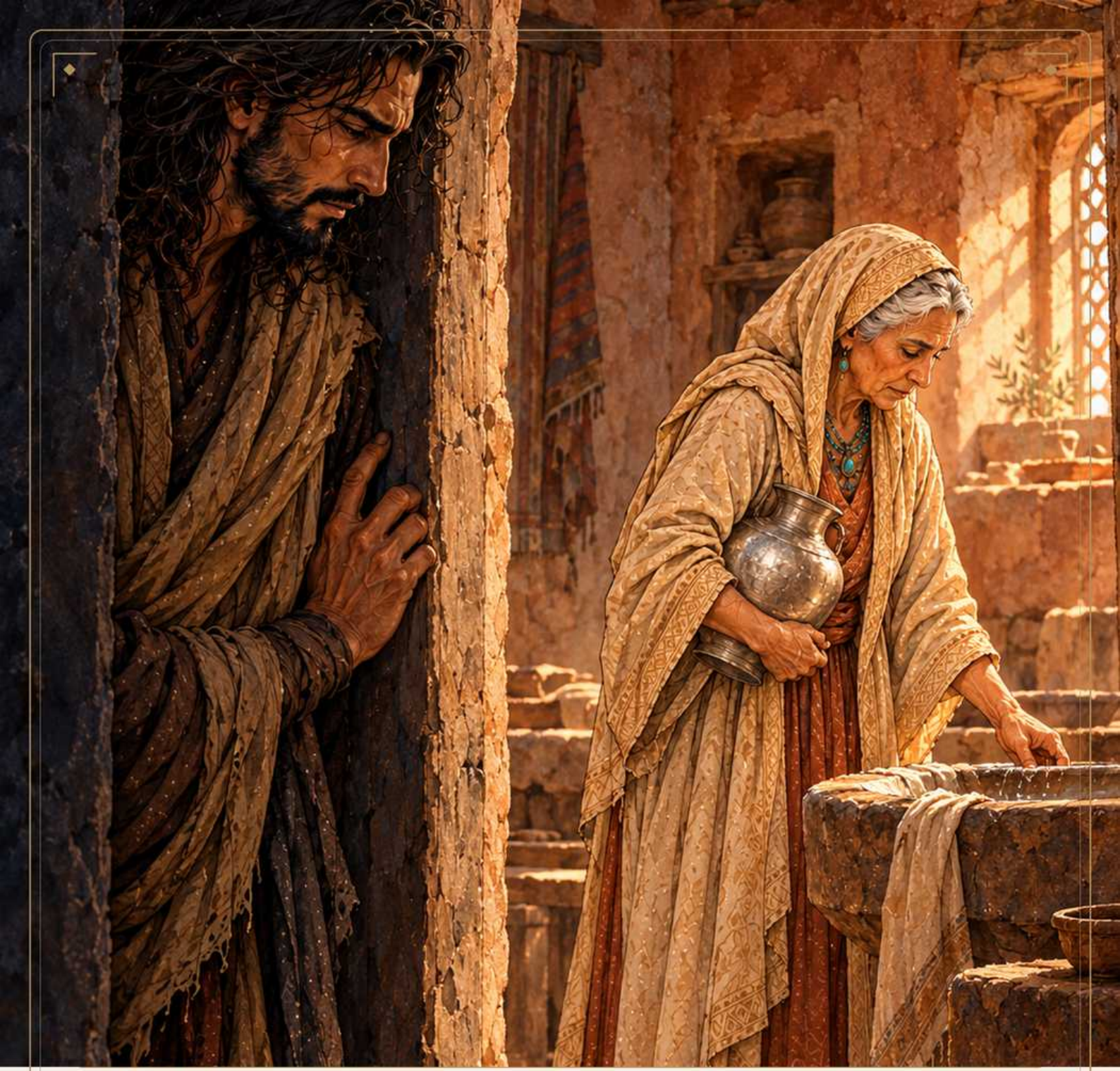
اليدان



طبقات القماش

سلمى والدة باسل، وتتصل حكايتها بأسئلته عن أسرته وعن المعرفة التي تصل إليه. ومع اقترابه من تلك الحكاية، لا تكفي الأسماء أو الصور العامة لفهم أصحابها. تمنحه الرواية فرصة أن ينظر إلى من يحب بوصفهم أشخاصًا لهم إرادتهم وعلاقاتهم واختياراتهم، لا أدوارًا ثابتة في حياته وحده.

لا تختزل سلمى في الانتظار، ولا تقف معرفتها عند ما يحتاجه ابنها. لها صوت وفعل وتفاصيل يومية تجعلها أقرب من صورة مثالية بعيدة. وكلما ظهرت هذه التفاصيل، اتسع معنى الأسرة: لا يعود فهمها متعلقًا بما حدث لأفرادها فحسب، بل بما أرادوه وما خافوه وما اختاروه. يبقى هذا المدخل مفتوحًا على اكتشاف القارئ، دون أن يسبق الحكاية إلى مصيرها.



الأم التي لم يعرفها الزمن وحده

حين تقع عينا باسل على سلمى، لا يرى الصورة التي يستطيع الشوق أن يحفظها بلا تغيير. يرى شعرًا أبيض وظهرًا منحنياً ويدين تشققتا من حمل الماء والعمل. تحمل إناءً فضيًا؛ حركة صغيرة تعيد إلى الحاضر أثر اليد التي حملته رضيعًا.

سلمى، تفاصيل القرب



اليدان على الثوب

قد يجعل البعد صورة من نحب أبسط مما هي عليه. لكن التفاصيل الصغيرة تعيد إلى الشخص حضوره: طريقة حمل شيء، وملامح وجه، وذكرى لا تتسع لها عبارة عامة. في حكاية سلمى يقترب باسل من هذه المسافة بين ما يتصوره وما يستطيع أن يعرفه، وبين حاجته إلى الإجابة وحق الآخر في أن تكون له حياة كاملة.

تقترب العين من وجه سلمى ويديها وثنيات قماشها، فتلتقي ملامح الفرد بحضور الأم. لا يختصرها الحنان وحده ولا الحزن؛ لها معرفة وإرادة، وصلتها بنافع جزء من حكاية الأسرة التي يحاول باسل الاقتراب منها. بين النظرة وحركة اليد مساحة لما تقوله الشخصية وما تحتفظ به لنفسها، ولصلة لا تنفد معانيها عند غياب أحد طرفيها.



إصغاء أمامي



هدوء جانبي



طبقات الغطاء من الخلف



جلوس من الخلف

ليث، خبرة وقرب

ليث جد باسل ومربيه، ومن الوجوه التي يتشكل عندها معنى الوادي والأسرة. يجمع حضوره خبرة السنين وقرب العلاقة، لكن الحكمة هنا ليست معرفة لا تخطئ. في حواره مع باسل تظهر أسئلة الحماية والسكوت والاختيار، وتنكشف المسافة بين ما يقصده الإنسان وما يتركه قراره فيمن يحب.

حين يكبر الحفيد، لا تبقى العلاقة على الصورة التي عرفها الطفل. تصبح الأسئلة أكثر مباشرة، ويحتاج القرب إلى أن يتسع للاختلاف. لا يلغي ذلك أثر التربية ولا المحبة، بل يجعلهما أمام امتحان جديد: كيف يحتفظ الإنسان بمكانه في حياة آخر من غير أن يملك حق تحديدها؟ يمنح هذا السؤال لليث عمقًا يتجاوز صورة الشيخ الذي يحمل الإجابات وحده.



إصغاء



ملامح هادئة



جلوس





اليدان

ليث، الإصغاء وثقل السنين



العمامة وثنيات الظهر



سكون أمامي

تصف الرواية ليث شيخًا جاوز السبعين، وبقي ظهره مستقيمًا كرمح قديم. يجتمع في هذه الصورة أثر العمر مع صلابة الحضور، من غير أن يعني ذلك غياب القلق أو التردد. فالخبرة لا تجعل الإنسان أقل تعلقًا بمن يحب، وقد تزيد ما يعرفه من الخطر صعوبة ترك القرار لغيره.

تتيح دراسة الجلوس والوجه واليد رؤية هذا التفاوت: ثبات في الهيئة ومساحة للإصغاء، وقرب لا يحتاج دائمًا إلى قول طويل. لا يُختزل العمر في كثرة التجاعيد أو ضعف الجسد، بل يظهر في علاقة الشخصية بما حولها. وتتغير دلالة الحركة حين يميل الرأس أو تستقر اليد، فيبقى لليث حضوره وتتنوع وجوه التعبير عنه.



إصغاء جانبي



القبضة والكف المفتوحة



جلسة من الخلف



ما تحمله الصلة

سلمى أمّه، وليث جدّه؛ صلات يعرف بها باسل ماضيه، ولا تعفيه من اختيار طريقه.



قرب لا يصادر الطريق

ليلى وجبل: صداقة تمنح العون، ولا تطلب من أحد أن يتخلى عن حياته.



الكتاب الأسود، قوة لا تأتي بلا ثمن

ضخم، مغلف بجلد أسود مصقول، وعلى حافته أثر دم لم يجف مع القرون. يثير الكتاب الأسود القلق بما يحتفظ به، وبما يعد صاحبه أن يمنحه. دفؤه ليس دفء غرض عادي، وحروفه المحفورة تجعل الصفحة أقرب إلى حضور ينتظر من يفتح له الطريق.

الدم النفس الذاكرة الظل الرغبة الشاهد

من معرفة العبور

الثمن إذا حمله شاهد برضاه لا يصير عبودية.

رهس، الوزير الذي يريد إرادة واحدة



ليس رهس ظلًا عابرًا في طريق باسل، بل خصم تتصل به الأسئلة الأشد قسوة في الرواية: من يملك الاسم؟ ومن يقرر الثمن؟ ومتى تتحول الحماية إلى حق في التحكم بحياة الآخرين؟ بصفته الوزير الجني لدى الملك مالك، يعرف كيف تعمل العقود والسجلات، وكيف تستطيع عبارة صغيرة أن تجعل الإنسان تابعًا لأمر لم يختره.

طويل ونحيل، يعلو حاجبيه أثر حرق أزرق، ويرتدي رداءً رماديًا؛ أصابعه خالية من الحلي. لا يحتاج حضوره إلى زينة ملكية، ولا إلى سلاح ظاهر كي يصبح مقلقًا. قوته في النظام الذي يحاول إحكامه، وفي قدرته على تحويل الأسماء والروابط إلى وسائل للنفوذ والتعقب.

يرى في اختلاف الإرادات بابًا للفوضى، ويطمح إلى جمعها تحت إرادة واحدة. هنا يتجاوز صراعه مع باسل مواجهة رجلين: إنه صراع بين أمن يفرض الطاعة، وحياة لا تستقيم دون حق أصحابها في الاختيار. يمنح هذا المنطق رهس ثقله بوصفه محور الشر، من غير أن يجعل تبريره للأذى عذرًا له.



أثر الحرق الأزرق



إصغاء جانبي



الرداء الرمادي



أصابع بلا حلي

رهس، حدة الخط وهدوء الوجه

في بناء وجه رهس، تتقدم الكتلة الطويلة النحيلة قبل التفاصيل. يرسم محور الوجه، ثم تحدد مواضع العينين والحاجبين والفم، وتُوزع الظلال بحيث يبقى التعبير واضحًا من غير حاجة إلى مبالغة في العبوس.

يحضر أثر الحرق الأزرق فوق الحاجبين علامة مميزة، ويمنح الرداء الرمادي مساحات هادئة تقابل دقة اليدين. لا تحتاج الأصابع إلى حلي لتلفت النظر؛ يمكن لوضعها وسكونها أن يمنحا الوقفة ثقلًا. ومع اكتمال الرصاص يظهر وجه الوزير بوصفه حضورًا يراقب ويقدّر ويتكلم من داخل السلطة.



كتل الوجه

تسبق المستويات الكبيرة خطوط الحاجب والفم.

الأذن والنظرة

تتبع الأذن اتجاه الجمجمة، وتوضح العين ميل الرأس.

اليد والرداء

تتصل حركة الأصابع بسكون الوقفة وثقل القماش.

مواجهة بلا سلاح

حين يبلغ باسل موضع المواجهة، لا يكون الملك هو من ينتظره. هناك يقف رهس، طويلًا نحيلًا، بلا سلاح في يده، وحوله ستة من أعضاء المجلس. لا يبدأ الخطر بضربة؛ يبدأ بالكلام، وبقدرة الوزير على وضع أفعال الآخرين أمامهم كما لو كان وحده يملك تفسيرها. أثر الحرق الأزرق فوق حاجبيه علامة ظاهرة، أما ما يجعل حضوره أثقل فهو معرفته بكلفة القرارات التي سبقت اللقاء.

يواجه باسل رجلًا لا يكتفي باتهامه، بل يريد أن يعيد تعريف معنى النجاة نفسها. فحين تُنقذ حياة، قد يقع الثمن على حياة أخرى لا تراها؛ وحين يصدر الأمر، قد يحمله إلى الناس نظام لا يعرف التردد. يستعمل رهس هذه المسافة بين القصد والنتيجة ليضع خصمه داخل السؤال الذي يفضّل هو الإجابة عنه: أليست إرادة واحدة أقدر على منع الفوضى من إرادات كثيرة تتنازع الطريق؟

لكن الخوف من الفوضى لا يجعل سلب الاختيار عدلًا. وما ينكشف في اللقاء ليس تنافسًا على القوة وحدها، بل اختلافًا حول حق أي شخص في تقرير ما يجب أن يدفعه الآخرون. لهذا لا يحتاج رهس إلى رفع سيف حتى يبدو خصمًا خطيرًا؛ يكفي أن يتحدث بلسان نظام يريد تحويل البشر والجن إلى أسماء قابلة للترتيب والتحريك.

ترتبط سلطة الوزير بأشياء قد تبدو بعيدة عن صورة المعركة: اسم في سجل، وعقد يحدد التزامًا، ورغبة يمكن تتبع صاحبها من خلالها. لذلك لا تنفصل المواجهة عن حياة العامل والأم والصبي، ولا عن السؤال عمن يقرأ الشروط ومن يملك تعديلها. ما يبدو من الخارج انتظامًا قد يخفي تفاوتًا شديدًا بين من يصدر الأمر ومن يعيش نتيجته. وإذا كانت الذاكرة نفسها قابلة لأن تصبح ثمنًا، فإن فقدانها لا يترك فراغًا في الماضي فقط؛ يبدل معرفة الإنسان بعلاقاته وبما يستطيع المطالبة به. في هذا المناخ يصبح هدوء رهس جزءًا من ثقله: لا يقف خارج النظام مهددًا له، بل يتكلم من داخله، محاولًا أن يجعل الاعتراض عليه اعتراضًا على الأمان ذاته.

تتوقف هذه اللوحة عند لحظة المواجهة، قبل أن تحسمها الأفعال. باسل أمام معرفة لم تعد تسمح له ببراءة الجهل، ورهس أمام إنسان لا يمكن اختزاله إلى وظيفة في سجل. بينهما تتسع المسافة من سؤال شخصي عن الأم إلى سؤال عن الحرية والثمن والمسؤولية.



رهس، حين تُمحى المسافة بين الأمر وصاحبه

يريد رهس أن يجمع اختلاف الإرادات تحت إرادة واحدة. لا يرى في النظام حدودًا تحمي الناس فحسب، بل أداة لتقرير ما ينبغي لهم أن يريدوه. ومن هنا يتولد خطره: أن يصبح الاعتراض نفسه علة ينبغي إزالتها، وأن يتحول الوعد بالأمان إلى إذن بالسيطرة.



سلطة الصمت

رهس، الوزير. لا سلاح ظاهرًا؛ الخطر في الأمر الذي ينتظر أن يُطاع.



باسل وكينا، نجاة لا يسير إليها واحد وحده

في عالم يراقب الأسماء ويتتبع الآثار، لا يكفي أن يركض الهارب أسرع من مطارديه. يحتاج باسل إلى فهم ما تراه كينا، وتحتاج كينا إلى شريك لا يكتفي باتباع الطريق من غير سؤال.

تتجاور معرفتهما ولا تتطابق؛ ومن هذا الاختلاف ينشأ مجال للعمل معًا.

المملكة، العمل والتبادل والامتياز

لا تتشابه حياة الجميع في مملكة الجن. تتجاور طبقات كادحة ومتوسطة وغنية، لكل منها علاقة مختلفة بالعمل والموارد والامتياز. تقربنا الرواية من هذه الفروق عبر أعمال ملموسة: الأفران والزجاج، والتجارة في الملح، وشؤون الخان ومتاع السفر، وشخصيات ذات مكانة ملكية. هذه الأمثلة مداخل إلى المجتمع، وليست تعريفًا جامدًا لكل فرد فيه.



المادة

أثر العمل في اليد والمادة.

تفتح التجارة وشؤون الخان نافذة على جانب آخر من الحياة. ينتقل الملح والمتاع بين أصحاب الحاجة، ويصبح الحوار وسيلة لمعرفة ما يريده الآخر وما يستطيع تقديمه. لا تسير المعاملات خارج المجتمع؛ تحمل معها الخبرة والحذر والتفاوت في المعرفة والمكانة.

يتجلى الاختلاف في ما يفعله الناس وما يملكون حق طلبه أو رفضه. لا يصبح الفقير اسمًا للضعف وحده، ولا الغني صورة للزينة؛ لكل شخصية علاقتها بما ورثته وما تعمله وما تختاره. وبين الأسرة والحاجة والقرار تتشكل حياة أوسع من التصنيف، وتجعل معرفة العالم مرتبطة بالإنصات إلى سكانه، لا بالنظر إليهم من الخارج فقط.



طعام العامل



تبادل الملح



الخيط واللون



المكانة



متاع السفر

طبقات المملكة، ما وراء اختلاف الثياب

تظهر الفوارق بين طبقات المملكة في العمل والمكان وفي مدى حضور العقد على الجسد. لدى عمال الأفران تشتد خطوطه، ولدى التجار تخف، وتكاد تختفي عند أهل الامتياز. ليست هذه العلامات زينة؛ إنها أثر نظام يعرف كيف يوزع الالتزام والمراقبة على نحو غير متكافئ.

في حي الأفران هواء ساخن ومساكن منخفضة وقنوات نار، وأسر يحمل بعضها ديونًا تتجاوز صاحبها الأول. وفي الأسواق تتداول أشياء تحفظ الدفء أو تتصل بالصوت والذاكرة والظل. أما القرب من القصر فيكشف وجهاً آخر للوفرة والقدرة على إصدار الأوامر.

لا يعني اختلاف الموضع الاجتماعي اختلاف قيمة الحياة. مرجانة ونائل ورئبال ليسوا عنوانًا للحرمان وحده؛ لهم معرفة وعلاقات وقرارات. ومن خلالهم تتضح المملكة بوصفها مجتمعًا، لا مشهدًا تتجاور فيه الفخامة والتعب من غير صلة. السؤال الذي يصل الطبقات هو نفسه: من يصنع ما ينتفع به الآخرون، ومن يقرر نصيب كل طرف من الثمن؟



1 عمل الأفران

2 حمل الوقود

3 التجارة

4 القماش والتبادل

5 القرب من النفوذ

6 تفاصيل الامتياز



مسافة الامتياز

لا تكتمل صورة المملكة بما يلمع فيها؛ ثمة أيدٍ تحمل كلفة ذلك اللمعان.

وجوه الطريق والعمل والحراسة

يمتلئ العالم بمن لا يقفون دائمًا في مقدمة الحكاية. رجال البادية ونساؤها يحملون تفاصيل العيش اليومي، والعامل يعود من يومه وفي جسده أثر ما صنع، والتاجر يعرف حركة التبادل، والحارس يقف حيث يتوقف عبور الآخرين أو يبدأ. لكل دور طريقته في حمل الوقت والمسؤولية.

وبين الوجوه تظهر الغرابة بأكثر من صورة: عين واحدة تلفت النظر، وهيئة غريب يبدو أنه يبحث عن جهة، وملابس عمل تحمل أثر الاستعمال، وحضور حاشية يرتبط بالقرب من السلطة. لا تصنع الهيئة وحدها حقيقة صاحبها؛ تتضح الشخصية أيضًا بما تفعله وما تختاره وكيف تعامل من أمامها.

من تنوع هذه الوجوه تتسع صورة العالم. ليست الطرقات فراغًا بين موضعين، ولا السوق مجرد خلفية، ولا العمل حركة بلا أصحاب. كل تفصيل يلمح إلى حياة تستمر خارج المشهد الذي نراه.



أهل البادية الغرباء العمال الحرس والحاشية

ما تحمله الرحلة

من تجهيزات باسل عباءة وقربتا ماء وحبل من شعر ناقة بيضاء وخنجر نافع والملح والحرمل. تبدو الأشياء صغيرة أمام اتساع الطريق، لكنها تحفظ صلته بمعرفة ملموسة: الماء حاجة، والحبل أداة، واليد لا تعبر المجهول دون ما تعلمته في العالم المألوف.

بعض الأغراض يحمل كذلك صلة بشخص آخر، فيجتمع الاستعمال والقرب في الشيء نفسه. لا تصبح قيمته في غرابته، بل في ما يتيحه لصاحبه وما يذكره به. ويمكن أن يكون الشيء العادي ضروريًا في لحظة لا تنفع فيها صورة البطولة وحدها. لهذا تحضر الأداة في الرواية بوصفها جزءًا من الفعل، لا زينة معلقة على هيئة المسافر.



حبل الرحلة

للربط والشد وحاجة المسافر.



قربتا ماء

زاد لا يغيب عن حساب الطريق.



خنجر نافع

نصل واحد؛ حديد داكن ومقبض قرن.



شعر الناقة

خامة الحبل الذي يصحبه باسل.



كيس الحرمل

متاع صغير يحمل معرفة الوادي.



القماش

قماش يضم ما يحتاجه المسافر.

الحبل والماء



الماء في الحركة

حركة محسوبة تحفظ ما في القربة.



شدّ العقدة

دراسة لحركة الأصابع في الشد والربط.

يحمل باسل قربتي ماء وحبلًا من شعر ناقة بيضاء ضمن تجهيز الرحلة. تبدو هذه الأشياء مألوفة، لكن مألوفيتها لا تقلل ضرورتها؛ فالجسد يحتاج إلى الماء، والطريق قد يحتاج إلى أداة تصل بين موضعين أو تثبت ما لا يستقر وحده. قبل أن تصبح المعرفة سؤالًا كبيرًا، تبقى للحاجة اليومية كلمتها.

يتصل الحبل أيضًا بعالم العمل الذي يعرفه باسل، إذ اعتاد إصلاح الحبال في الوادي. لذلك لا تبدأ خبرته عند أول مواجهة غريبة؛ يحمل معه ما تعلمه من الصبر واليد والمادة. وفي تقارب القربتين ولفة الحبل يظهر جانب من الرحلة لا تصنعه الرغبة وحدها: الاستعداد، والانتباه لما قد يحتاجه الإنسان، واحترام الأشياء البسيطة التي تساعده على الاستمرار.



فم القربة



قراءة في الليف

حين يصبح الرحيل اختيارًا

قبل أن يكون الطريق صحراء وجبالًا، يكون قرارًا يصعب على باسل اتخاذه. في وادي السهو يعرف العمل الذي تنتظره يداه، والوجوه التي يمكنه الرجوع إليها، والعادات التي تجعل الغد امتدادًا لليوم. لكن ما ينكشف من ماضي أسرته يضع هذه الألفة أمام سؤال لم يعد ممكنًا إبعاده: هل يظل في مكانه لأن البقاء اختياره، أم لأن غيره اختار له ألّا يعرف؟

لا يخرج من الوادي فارغ اليدين. يعد له ليث أدوات الرحلة، وتحضر قربتا الماء والعباءة والخنجر والملح والحرمل والكتاب، ومعها ما يمنحه الأصدقاء من عون. تبدو أشياء قليلة قياسًا إلى المجهول، لكنها تحمل معرفة المكان الذي نشأ فيه: حفظ الماء، والاستعداد للتعب، وإصلاح ما ينقطع، وعدم الخلط بين الشجاعة والاستغناء عن الآخرين.

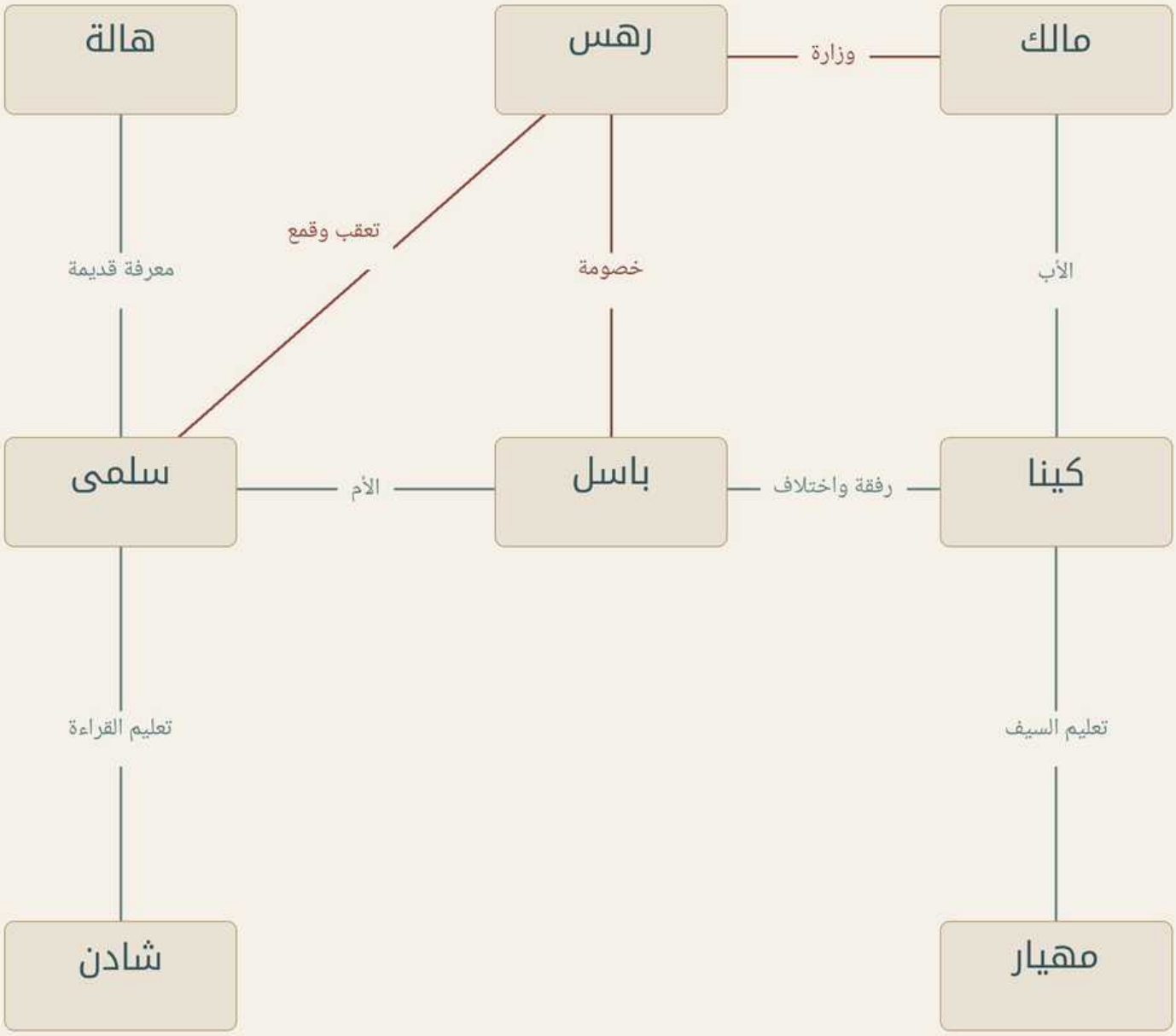
وفي الوداع لا تتحول ليلى إلى وعد ينتظر عند آخر الطريق، ولا تصبح صداقة جبل مجرد حنين. لكل منهما حياة ومسؤولية، ولكل منهما طريقته في مساعدة باسل من غير أن يلغي نفسه. أما ليث، الذي طالما حمل سر الأسرة، فيتعلم أن الحماية لا تمنح صاحبها حق اتخاذ القرار إلى الأبد.

ومن بين ما يحمله باسل أشياء لا تقاس منفعتها بما تؤديه وحده. خنجر نافع قصير، مقبضه من قرن وشفرته من حديد داكن؛ غير أن صلته بالأب تجعله أكثر من أداة. ونصف خاتم الفضة المشقوق يحمل أثر علاقة سبقت ولادته، وحكاية لا تزال المعرفة بها ناقصة. لا تمنحه هذه البقايا ماضيًا كاملًا جاهزًا، لكنها تمنع الغياب من أن يكون فراغًا بلا أثر. إلى جوارها، يعيد الماء والحبل والخبز الرحلة إلى حقيقتها الجسدية: سيعطش ويتعب ويحتاج إلى من يعينه. يجتمع الموروث والعملي في الحمل نفسه، كما يجتمع في الرحيل بحثه عن أسرته وخروجه من الحياة التي تعودها. ليست الأدوات وعدًا بالنصر، بل وسائل تعينه على أن يواصل السؤال وهو يمشي.

يخرج باسل حاملًا صلاته لا متخلصًا منها. لا يخبره الوداع بما سيحدث، ولا يضمن له أن المعرفة ستمنحه الراحة؛ لكنه يغير موقعه من حكايته. ما كان يُروى له يصبح طريقًا يمشيه، وما كان يُخفى عنه يصبح سؤالًا عليه أن يواجهه. لذلك لا يبدأ اتساع العالم عند أول عجيبة يراها، بل عند اللحظة التي يقبل فيها أن يختار، وأن يتحمل مسؤولية الاختيار.

خيوط القرب والخصومة

تقابل روابط القرب شبكة أخرى تحاول أن تجعل العلاقة وسيلة للسيطرة. يصل رهس إلى الآخرين بالنفوذ والتعقب، بينما تحفظ المعرفة والتعليم والعناية طرقًا أخرى للاتصال.



وجوه على الطريق

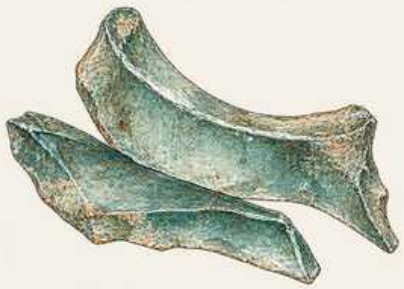
يتسع العالم حين نلتقي من يعرفون تفاصيل لا يعرفها البطل. هالة تحمل معرفة قديمة بالطرق، وعمران صاحب خان له خبرته بالناس، وسهى وسهيل يدخلان إلى الحكاية بعلاقتهما المختلفة بالذاكرة والطريق. وفي شادن تظهر حياة يومية داخل علاقات سلطة لا تتضح كلها من النظرة الأولى.

ليست أهمية هذه الشخصيات في طول حضورها وحده، بل في الزاوية التي تفتحها. قد يقدم اللقاء سؤالًا بدل جواب، أو يجعل فعلًا صغيرًا مرئيًا بعد أن كان يمر بلا انتباه. لذلك لا يعرضها هذا المدخل قائمة للحفظ، بل إشارات إلى اتساع التجربة: ما يراه باسل ليس العالم كله، وما يعرفه شخص آخر قد يغير طريقة قراءته له.

ويفتح نائل نافذة على حياة أسرته؛ مرجانة والدته، ورئبال أخوه الذي يعمل في أفران الزجاج. من خلالهم يكتسب العمل والتكافل حضورًا إنسانيًا يتجاوز وصف الطبقات. وإلى جوارهم يظهر مهيار، قائد حرس باب العرش، وسابرة، حافظة الذاكرة وعضو المجلس؛ فيتسع عالم الرواية بين مسؤولية القوة، وأثر العمل، وما تحفظه الذاكرة من حياة أصحابها.



عمل



مادة



أثر



معيشة



تبادل

أثر الشخصيات في تفاصيل الحياة



حَـتَّـى تَـبَـدَّى لـه مِـنَ الـسَّـوَادِ ... فَـمٌ مِـن دَهْـرِهِ مُـتَـرَقِّـبًا أَخْـبَارَ
كَـهْـفٌ يُـطِلُّ مِنَ الجِبَالِ كَأَنَّهُ ... سِـرٌّ تَـقَـادَمَ فَـاسْـتَـحَـالَ جِـدَارَ
دَخَـلَ الظَّلَامَ، فـ رأى فِـي جَـوْفِهِ ... سُـكُـونـاً وَرأَى رَهْـبَـةً .. وَ غُـبَـارَ
وَ أَضَـاءَ الـصَّـخْـرَ وَجْـهٌ فَـاتِـنٌ ... فَـكَـأَنَّ بَـدْرَ الـتِّـمِّ زَارَ الـمَـغَـارَة
وَتَـنَـاثَـرَ الـشَّـعْـرُ الـطَّـوِيـلُ كَـلَـيْـلَـةٍ ... سَـوْدَاءَ أَطْـلَـقَ فَـجْـرُهَـا الأَقْـمَـارَ
قَـالَـتْ: أَنَـا كِـيـنـا، ابْـنَـةُ مَـالِكٍ، وَقَـدْ ... عَـرَفَـتْ عُـيُـونِـي وَجْـهَـكَ الـمُـخْـتَـارَ
رَأَيْـتُـكَ طِـفْـلًا، وَالـسِّـنُـونُ صَـغِـيرَةٌ ... وَرَأَيْـــتُ أُمَّـكَ .. تَـحْـمِـلُ الأَوْزَارَ
مَـا كَـانَ هَـجْـرُكَ فِـي فُـؤَادِ أُمُـومَـةٍ ... طَـوْعًـا، وَلَا اخْـتَـارَتْ لَـكَ الإِضْـرَارَ
لَـكِـنَّـهَـا قُـهِـرَتْ، وَ كَـمْ مِـنْ وَالِـهٍ ... يَـخْـفِـي مِـن وَرَاءَ تَـجَـلُّـدٍ أَنْـهَـارَ

المادة بين القلم واللون

يختلف ما تمنحه وسيلة الرسم للتفصيل. يقترب الرصاص من الحافة والظل وملمس المادة، بينما يسمح اللون المائي بانتقال ناعم بين المساحة والضوء. ويستطيع الحبر أن يوضح حركة أو هيئة بخط قليل، من غير أن يحتاج إلى ملء الورقة كلها. لا تعني هذه الفروق أن يتغير الغرض أو الوجه كلما تغيرت الوسيلة؛ يبقى التعرف إليه أساسًا يجمع الدراسات.

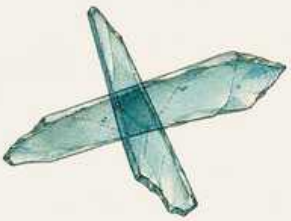
تنتقل العين هنا بين ليف الحبل وصلابة الحديد وثنية القماش، وتقارن ما يظهره الخط وما يضيفه اللون. بعض الصور يترك أثر البداية ظاهرًا، وبعضها يصل إلى تحديد أوضح، فتظل مساحة للتأمل في العلاقة بين الرسم المكتمل والاحتمالات التي سبقته. وفي تنوع الخامات يتغير إيقاع النظر: حافة صلبة هنا، وظل متدرج هناك، ومساحة خفيفة من اللون تمنح التفصيل عمقًا آخر.



الصخر بالرصاص



القماش بالحبر



شفافية الزجاج



ملمس الليف



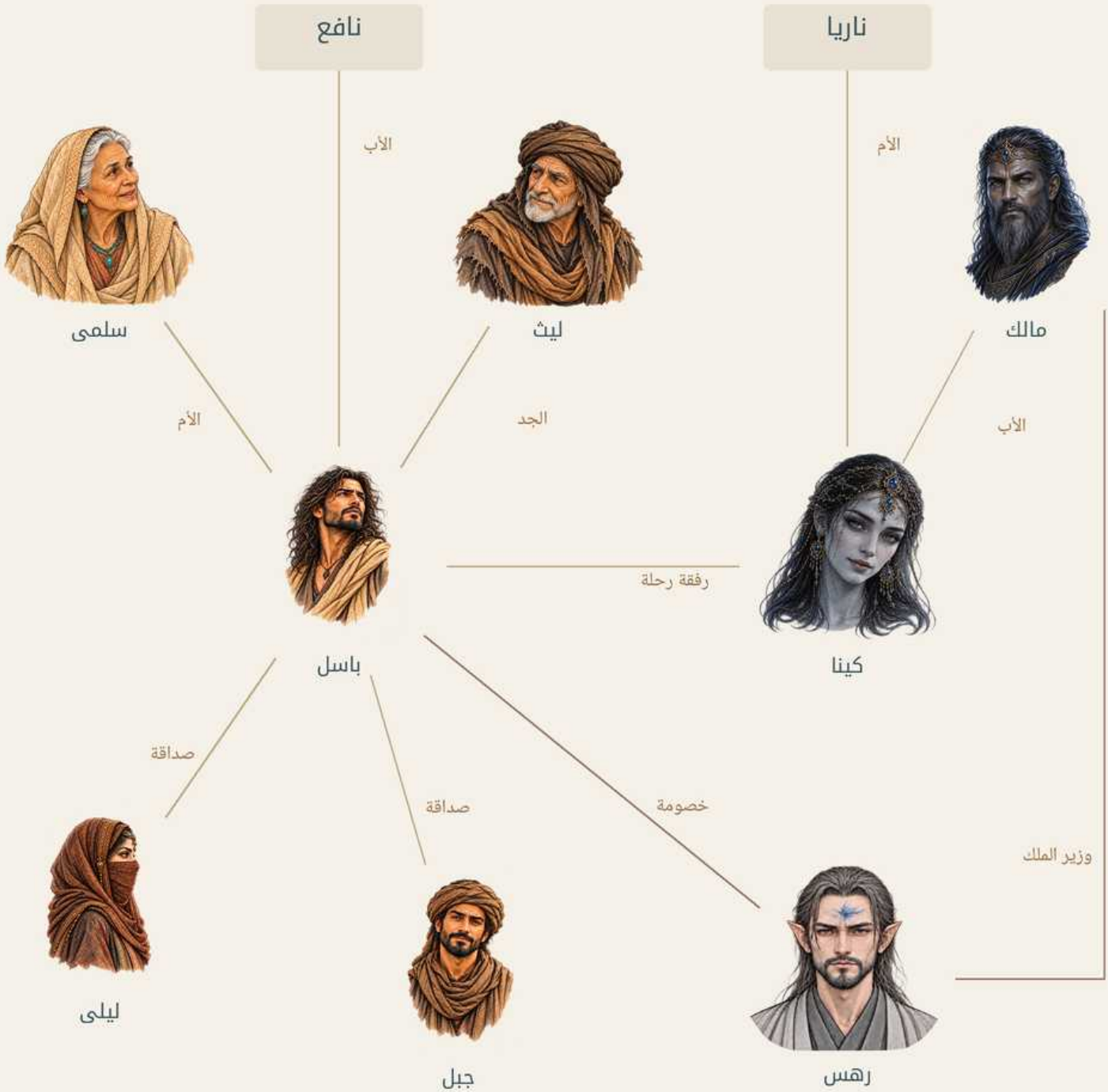
النبات بالمائي



الخيط واللمعان

خريطة العلاقات

تصل الأسرة باسل بماضٍ يسعى إلى فهمه، وتمنح الصداقة رحلته سندًا. وفي الجانب الآخر تقف صلات الملك والوزارة؛ تتقاطع بها القرابة مع النفوذ، ولا تلغي الرفقة اختلاف الإرادات.





حين تتداخل الحكايات

وجوه تتقاطع بين دفء الرمل وزرقة المجهول؛ لكل منها طريقه، وبينها تنسج الحكاية أسئلتها.



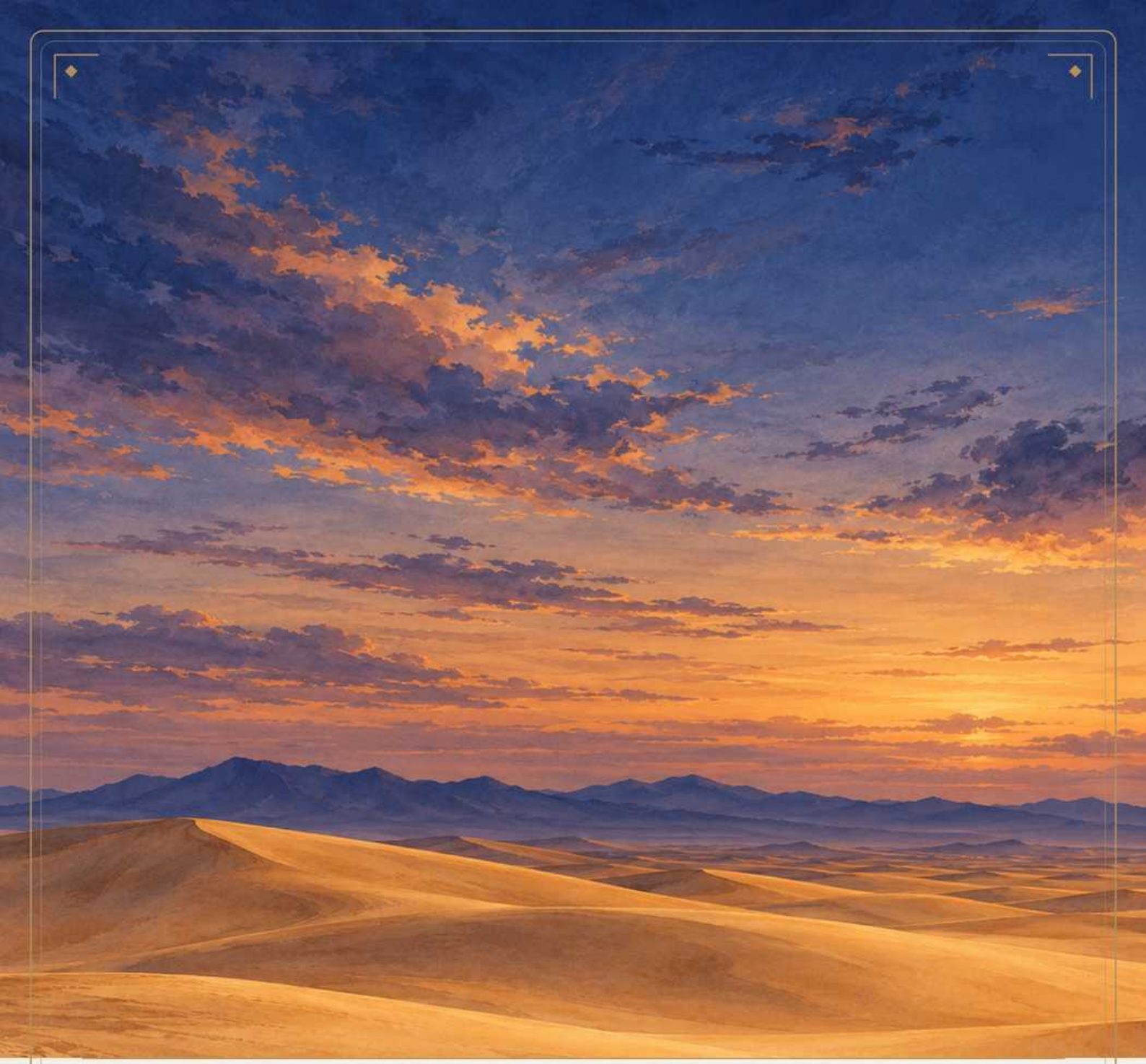
قبل أن يتسع الغياب

في حضن الأم يبدأ العالم قريبًا: وجه، ويد، وصوت، ودفء يمنح الطفل مكانًا بين من يحبونه. سلمى ونافع وباسل الرضيع؛ لحظة تتسع لها أضواء النار ولا تحتاج إلى معرفة ما ينتظر خارجها.



عالم تصنعه الإرادات

وجوه مختلفة، وإرادات تتقاطع؛ ومن بينها تتشكل الحكاية.



ما يبقى بعد الصفحة

هنا تنتهي صفحات الكتيب، ويبقى للعالم متسع في الرواية.

Mayedone

© 2026 مايد الكعبي، جميع الحقوق محفوظة في حدود القانون